المحـــاضـرة رقم 01

الفصـــل الأول: التـنمـــية المستـــــدامـــة: المفهـوم التطـــور والأبعـاد

المـــبحـــث الأوّل: مـــاهيـــة التـنمـــية المستـــــدامـــة

منـــذ الثورة الصنـــاعية إلى غاية السنوات الثلاثين المجيدة[*] لم يتوقف الإنسان عن التأثير على البيئة وفقًا لما يُناسبه ـــــــ ابتداءً من اكتشاف الفحم والنفط والغاز بالإضافة إلى تسويق السيارات لعامة الناس ـــــــ مما تسبب في زيادة تركيزات الغـازات الدفيئـة في الغلاف الجوي، والتي تسببت في تغير المناخ والاحتبـاس الحـراري (Global Warming)[*] بحيث أصبحت علامات التدهور البيئي واضحة لدرجة أَنَّهُ لا يمكن لأحد أنْ يشكك في العلاقة السببية بين استغلال الانسان اللاعقلاني للموارد والتغير المناخي[1]. أين شكّل الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية والآثار الضارة للنمو الاقتصادي الجامح تهديداً لاستمرارية الحياة على الأرض. وفي مواجهة هذا الموقف المقلق، دعا المجتمع الدولي إلى تحقيق تنمية مستدامة عادلة تحترم قدرة دعم الكوكب.

---

[*] تشير **السنـــوات الثلاثيـــن المجيـــدة** (Les Trente Glorieuses) إلى فترة النمو الاقتصادي القوي وتحسن الظروف المعيشية التي عانت منها الغالبية العظمى من الدول المتقدمة بين عامي 1946 و1975. تم اختراع هذه العبارة من قبل عالم الاقتصاد الفرنسي **جـــان فوراستيـــيه (Jean Fourastié)** في 1979 وذلك على منوال الثلاثة المجيدة في إشارة إلى الأيام الثورية 27 و28 و29 يوليو 1830 والتي أسقطت الملك شارل العاشر ملك فرنسا.

[*] **الاحتبـاس الحـــراري:** يعني ازدياد درجة الحرارة السطحية المتوسطة في العالم مع زيادة كمية ثاني أكسيد الكربون، وغاز الميثان، وبعض الغازات الأخرى في الجو. هذه الغازات تسمى بالغازات الدفيئة لأنّها تساهم في تدفئة جو الأرض السطحي. ولوحظت الزيادة في متوسط درجة حرارة الهواء منذ منتصف القرن العشرين، مع استمرارها المتصاعد، حيث زادت درجة حرارة سطح الكرة الأرضية بمقدار 0.74 ± 0.18°م (1.33 ± 0.32 فهرنهايت) خلال القرن الماضي. وقد انتهت اللجنة الدولية للتغيرات المناخية إلى أن غازات الدفيئة الناتجة عن الممارسات البشرية هي المسؤولة عن معظم ارتفاع درجة الحرارة الملاحظة منذ منتصف القرن العشرين.

[1] Ziad Anass, **Mise en œuvre des objectifs de développement durable : progrès à réaliser et obstacles à surmonter**, (Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement et développement durable, 2018), p 2.

المـــــطلب الأوّل: مفهــوم النمــو الاقتصــادي والتنمــية الاقتصــادية

مُنــذ زمن الاقتصاديين الكلاسيكيين على غرار **آدم سميــث (Adam Smith) ودافيــد ريكــاردو (David Ricardo)** ومفهوم النمو والتنمية ـــــ اللذان كان لهما معنى واحد ـــــ يشغل اهتمام رجال الفِكر الاقتصادي إلّا أنَّ هذا الاهتمام بلغ ذروته مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثـانية وحصول العديـدة من الدول في إفريقيـا وآسيـا على استقلالها السياسي [1]. ففي 20 يناير 1949، استخـدم الرئيس الأمريكـي **هــاري ترومــان (Harry Truman)** في إحدى خِطاباته السياسية لأول مرة مُصطلح **التـنمــية (Development)** لتبرير المساعدات المقدمة إلى البلدان المُتخلفة (العالم الثالث) في سياق الحرب الباردة، والتي كانت الولايات الأمريكية المتحدة تسعى إلى ضمها إليها. بحيث أعلن أَنَّهُ من واجب الدول الرأسمالية في الشمال أنْ تنشر معارفها التقنية ومساعدة البلدان المُتخلفة.

وعلـى أثـر هذا المُتغير بـدأ في التبلور ما يُعـرف بـ: اقتصـاد **التنميــة** (Development economics)، إذ قبل هذا كانَ مُصطلحي النمو والتنمية يستخدمان كمُترادفين لبعضهما، خاصةً في الأدبيات الاقتصادية الأولى. فكلاهما يشير إلى معدل الزيادة في الناتج القومي الإجمالي الحقيقي خلال فترة زمنية طويلة. أي أَنَّهُ كان يُفسر النمو بالتنمية والعكس صحيح. وهــذا ما ذهب إليه عالم الاقتصاد الأمريكـي **والــت ويتمــان روستــو (Walt Whitman Rostow)** صاحب **نمــوذج مراحــل النمــو الاقتصــادي (Rostow's Stages Of Growth)**، حيث عرف تنمية الدول على: **"أنّها عملية الخروج من التخلف انطلاقًا من النمو ويكون ذلك ببذل الجهد الكافي في مجال الاستثمار"**. ولكنّ مع التطور الذي شهده العالم من الناحية السياسية وكــذا الاقتصادية بدأ التمييز بين كل من النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية بحيث أصبح معظم الاقتصاديين يرى أَنَّ مفهوم التنمية الاقتصادية يختلف عن النمو الاقتصادي لطبيعة الفوارق الموجودة بينهما، فالتنمية الاقتصادية أوسع من النمو الاقتصادي على الرغم من كون النمو ضروري في أي عملية تنموية غير أَنَّهُ غير كافي للتنمية.

الفـــــرع الأوّل: مفهــوم النمــو الاقتصادي

يُعـرف **النمــو الاقتصــادي** (Economic growth) على أَنَّهُ: **"حدوث زيادة مستمرة في متوسط الدخل الفردي الحقيقي مع مرور الزمن"**. وهو أيضًا : **"الزيادة في انتاج الفرد أو دخل الفرد"** [2]. و**متوســط الدخــل** هو: **"الدخل الكلي على عدد السكان، أي أَنَّ النمو الاقتصادي يشير لنصيب الفرد في المتوسط من الدخل الكلي للمجتمع"**.

---

[1] العايب عبد الرحمن، "التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة"، (رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم الاقتصادية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر)، ص 6.

[2] واين نافزيجر، **التنمية الاقتصادية**، ترجمة: محمد شاهين، (القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة،2018)، ص 33.

ويعرف أيضًا على أَنَّهُ: "**الزيادة المضطردة في إمكانيات الاقتصاد على إنتاج السلع والخدمات التي يرغبها المجتمع**"[1]. كمـا يُكننـا القول أَنَّ النمو الاقتصادي هو ذلك التغيير الإيجابي في إنتاج السلع والخدمات في الاقتصاد خلال فترة معينة، والتي عادةً ما تكون طويلة. ويعد **النـاتج المحـلي الإجمالـي** (GDP) أو (PIB) المؤشر الأكثر استخدامًا لقياس النمو الاقتصادي، ويعرف الناتج المحلي الإجمالي (Gross Domestic Product) بأَنَّهُ المؤشر الاقتصادي المستخدم لتحديد القيمة الإجمالية لإنتاج الثروة السنوي الذي يقوم به الوكلاء الاقتصاديون (الأسر، الشركات، الإدارات العامة) المقيمون داخل الإقليم. هو أيضًا مقياس نقدي للقيمة السوقية لجميع السلع والخدمات النهائية المنتجة في فترة زمنية محددة، وغالبًا ما يكون ذلك سنويًا [2].

وفضـلًا عن الناتج المحلي الإجمالي يتم استخدام أيضًا جملة من المؤشرات الأخرى منها: الزيادة في رأس المال والتقدم التكنولوجي وتحسن مستوى التعليم .... إلّا أَنَّهُ يُعاب على هذه المؤشرات غياب التجانس فيما بينها. ونتيجة لذلك، فإنّ الاقتصاديين يتبنون مسألة **الرفـاه الإنسـاني** (Well-being) للتعبير عن مستوى النمو لاقتصاديات الدول. وهذا الأخير يعني مقدار النمو في نصيب الفرد من الدخل الحقيقي. وفي هذا الصـدد، يكاد يكون هناك شبه اتفاق بين جمهور الاقتصاديين على ربط الرفاه الاقتصادي المادي بمدى توفر السلع والخدمات. وبالتّالي، فإنّهُ من أجل تحقيق النمو الاقتصادي يتوجب الاستمرار في إنتاج المزيد من السلع والخدمات ذات القيمة. ذلك أَنَّه في حساب مستوى الرفاه الاقتصادي المادي، فإنّه يتطلب مراعاة ليس فقط النمو في القدرة الإنتاجية للاقتصاد بل أيضًا معدل نمو السكان. وعمومًـا، يستخدم الاقتصاديون مُصطلح النمو تقليديًـا لوصف الزيادة في الإنتاج على المدى الطويل.

وفقًا لتعريف الاقتصادي الفرنسـي **فرانسـوا بيروكـس (François Perroux)**، فإنّ النمو الاقتصادي يتوافق مع لزيادة المستمرة خلال فترة طويلة للناتج المحلي الإجمالي الحقيقي[3]. في حين يتجاوز التعريف الذي يقدمه الخبير الاقتصادي الأمريكـي **سيمـون كوزنتـس (Simon Kuznets)** هـذا، ويؤكد أَنَّ عملية النمو الاقتصادي تحصل كلما كان الناتج المحلي الإجمالي أكبر من نمو السكان.

والحقيـقة، أَنَّ النمو الاقتصادي لطالما ترتبت عليه الكثير من الآثار السلبية، مثل التلوث والأضرار التي تلحق بالبيئة أو تفاقم أوجه عدم المساواة الاجتماعية أو استنفاد الموارد الطبيعية أو حتى الحروب والحركات الاستعمارية، وعلى هذا الأساس، وعلى هذا الأسـاس، يذهب البعض إلى ضرورة التمييز بين النمـو والتقـدم (Progress) لا سِيَّما بعد صدور تقرير من قبل **نـادي رومـا (Club of**

(1) عبد القادر محمد عبد القادر عطية، **اتجاهات حديثة في التنمية**، (القاهرة: الدار الجامعية، 2003)، ص 11.
(2) Tim Callen, "Gross Domestic Product: An Economy's All", **Finance & Development**, December 18, 2018, at: http://bit.ly/2GdwHpi
(3) François Perroux, **Dictionnaire économique et social**, (Paris : Hatier, 1990)

Rome) ـــــ الذي سيأتي ذكره لاحقًا ـــــ بعنــوان: "**حــدود النمــو** (Limits to Growth)"، والذي يسلط الضوء على استحالة النمو غير المحدود في عالم محدود. بحيث أَنَّ النمو بنفس النهج غير العقلاني المستمر سيؤدي حتمًا إلى انهيار الحضارة.

الفـــــرع الثـــاني: مفهـــوم التنمـــية من المفهوم التقليـدي إلى المفهوم الحديـــث

أولًا : المفهـــوم التقليـدي للتنمـــية

يُمكن تعريـف **التـنمـــية الاقتصاديـــة** (Economic Development) على أَنَّها: "**تقدم المجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل، هذا فضلا عن زيادة رأسمال المتراكم في المجتمع على مر الزمن**". وتنطوي التنمية الاقتصادية على ثلاثة عناصر أساسية هي:

1) تغيرات في الهيكل والبنيان الاقتصادي.
2) إعادة توزيع الدخل لصالح الطبقة الفقيرة.
3) ضرورة الاهتمام بنوعية السلع والخدمات المنتجة وإعطاء الأولويات لتلك الأساسيات.

كمـــا تعرف أيضًا أَنَّها: "**النمو الاقتصادي مصحوب بتغيرات في توزيع الانتاج والهيكل الاقتصادي، وقد تشمل هذه التغييرات تحسنا في الرفاه المادي للنصف الافقر من السكان وانخفاض حصة الزراعة من الانتاج القومي والزيادة المناظر في حصة الصناعة والخدمات**" [1].

ثـــانيًا المفهـــوم الحديـــث للتنمـــية

لقـــد أدى فشل مجهودات التنمية إلى تراجع المفهوم التقليدي للتنمية الذي يرتكز على الجانب الاقتصادي لحساب مفاهيم حديثة لنفس المصطلح. فبرزت على الساحة محاولات لتحليل التنمية وتعريفها من خلال منظور اجتماعي إنساني تعمل على توفير الاحتياجات الأساسية للإنسان الغذاء والسكن والصحة والتعليم والعمل...، انطلاقًا من أَنَّ التنمية لا تقتصر فقط على البُعد الاقتصادي بل هي أشمل من ذلك حيث تراعي أيضًا الأبعاد الاجتماعية منها القدرة على تلبية الحاجيات الاساسية للمجتمع والقضاء على اللامساواة والتقليل من الفقر والبطالة، وهي ما تسمى **بالتنمـــية البشريـــة.**

[1] واين نافزيجر، **المرجع السابق**، ص 33.

ولقـد عرّف أول تقرير للتنمـية البشريـة سنة 1990 مفهوم التنمـية البشريـة أَنَّها: "**عملية توسيع/ تعظيم خيارات الناس**". وتعرف **الهيئـة العالميـة للبيئـة** التنمـية البشريـة المستدامة على أَنَّها: "**عملية تغيير يتم فيها جعل عمليات استغلال الموارد، وتوجيه الاستثمارات ونزوع التطور التقني والتغيير المؤسساتي متوافقة ومنسجمة مع حاجات المستقبل جنبًا إلى جنب مع حاجات الحاضر**"[1]. وفـرض مُصطلح **التنمـية البشريـة (Human development)** على نفسه في الخِطاب الاقتصادي والسياسي على مستوى العالم بأسره وخاصة منذ التسعينات، كمـا لعب **البرنـامج الإنمائـي للأمـم المتحـدة** (United Nations Development Programme) وتقاريره السنوية عن التنمية البشرية دورًا بارزًا في نشر وترسيخ هذا المُصطلح. ويقترح هذا البرنامج تعريفًا جيدًا للتنمية البشرية حيث يراها أَنَّها: "**عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس، وتركز تلك الخيارات الأساسية في أنْ يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل وأن يكتسبوا المعرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة**". وهي كذلك: "**عملية توسيع خيارات الناس حسب الخيارات التي تتيح لهم أن يعيشوا حياة طويلة وصحية ، وأن يتعلموا، وأن يتمتعوا بمستوى معيشي لائق بما في ذلك الحرية السياسية وغيرها من حقوق الإنسان المكفولة ومختلف مكونات احترام الذات**" [2]. وتتعلق التنمية بتوسيع الخيارات المتاحة أمام الناس ليعيشوا حياتهم التي يقدرونها، ويحسنون الحالة الإنسانية بحيث تتاح للناس الفرصة ليعيشوا حياة كاملة[3]. وبالتّالي، فإنّ التنمية البشرية هي أكثر بكثير من مجرد النمو الاقتصادي، والذي هو مجرد وسيلة لتوسيع خيارات الناس[4]. كمـا أَنَّ هناك من يُعرف التنمية البشرية على أَنَّها: "**نظرية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية تجعل الإنسان منطقها وغايتها، وتتعامل مع الأبعاد البشرية والاجتماعية باعتبارها العنصر المهيمن. وتنظر للطاقات المادية باعتبارها شرطا من شروط تحقيق التنمية. فهدف هذه التنمية هو خلق بيئة تمكن الإنسان من التمتع بحياة طويلة وصحية وخلاقة**".

ومـن ثـم فإنّ الهدف الأساسي للتنمية البشرية يتمثل في توسيع ثراء الحياة البشرية، وليس مُجرد ثراء الاقتصاد الذي يعيش فيه البشر. إنّه نهج يركز على الناس وفرصهم وخياراتهم[5]. وعليه، فإنّ للتنمية البشرية **جـانبـان: الأول** هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين الصحة والمعرفة والمهارات. وهذا يعني تنمية قدرات الناس (Opportunities) ومنحهم فرصة لاستخدامها. و**الثـاني** يتمثل في انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة في المجالات الشخصية أو الانتاجية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسة، أي اتاحة الفرصة لهم والمزيد من الخيارات (Choices). ولكي تكون التنمية البشرية ناجحة فإنّه لا بد من تواجد

---

(1) برنامج الامم المتحدة الانمائي. **تقرير التنمية البشرية لعام 2011**، (نيويورك: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2011)، ص 14.

(2) United Nations Development Programme, **Human Development Report**, 1997, p 15.
(3) Paul Streeten, "Human Development: Means and Ends". **Human Development**, (84.2), May 1994, 232–237.
(4) United Nations Development Programme, **About Human Development**, at: http://bit.ly/3azULR1
(5) **ibid**.

توازن دقيق بين هذين الجانبين. كما تضم التنمية البشرية ست ركائز وهي: العدالة والاستدامة والإنتاجية والتمكين والتنسيق والأمـن [1]:

1) **العــدالة والإنصــاف** (Equity): هي تكافؤ الفرص للجميع. ويتم التركيز بشكل خاص على المساواة في التنمية البشرية بين الرجال والنساء ومختلف الفئات الاجتماعية في الحق في التعليم والرعاية الصحية.

2) **الاستــدامة** (Sustainability): هي الرأي القائل بأَنَّنا جميعًا لدينا الحق في كسب لقمة العيش التي يمكن أن تدعم حياتنا والوصول إلى توزيع أكثر عدلاً للسلع.

3) **الإنتــاجية** (Productivity): أي المشاركة الكاملة للناس في عملية توليد الدخل. هذا يعني أيضًا أَنَّ الحكومة بحاجة إلى برامج اجتماعية أكثر كفاءة لشعبها.

4) **التمكــين** (Empowerment): هو حرية الناس في التأثير على التنمية والقرارات التي تؤثر على حياتهم.

5) **التنســيق** (Cooperation): الذي ينص على المشاركة والانتماء للمجتمعات والجماعات كوسيلة للإثراء المتبادل ومصدر للمعنى الاجتماعي.

6) **الأمــن** (Security): الذي يوفر فرصًا لتطوير الأشخاص بحرية وأمان بثقة في أنهم لن يختفوا فجأة في المستقبل [2].

مادة التنمية المستدامة ومكافحة الفساد

[1] HDRO Outreach, "What is Human Development?", **United Nations Development Programme** ,2017,at: http://bit.ly/2Rii7mS
[2] "What is Human Development?", **United Nations Development Programme** ,2012,at: http://bit.ly/36g3qVF